سوانح فيزيائية

(١)

علي الشوك

أحسب أنني انتمي، في بعض تصرفاتي، الى جيل محافظ الى حد ما، مع انني في افكاري لا اخالني كذلك، لاسيما في المواقف السياسية والقضايا الاجتماعية. لكنني اعترف بأنني محافظ، مثلاً، في الرياضيات! فأنا لم اعد نفسي للانتماء الى ملكوت الرياضيات الحديثة (رياضيات المجموعات وما اليها)؛ وان كنت افضل ان ابقى رياضيا محافظا بقدر تعلق الأمر بهندسة الفضاء. فليس يتقبل ذهني ان يكون الفضاء محدبا او مقعرا، حتى لو اقسم تسعة اعشار علماء الفيزياء والرياضيات بأغلظ الأيمان على ذلك.

على أن من مظاهر نزعتي المحافظة الاخرى، أنني لا ازال بعيدا عن عالم الانترنيت. فمن هبّ ودب صار يتعامل مع الانترنيت الا أنا، وربما قلة نادرة من أمثالي المثقفين. فلا أزال محجما على التعامل معه. وهذا يجعلني أشعر بأنني متخلف حقا عن الركب (مع أنني علمت ان غونتر غراس لا يتعامل مع هذا الجهاز السحري، هو الآخر).

على انني اود ان استدرك فأقول انني لست منقطعا تماما عن الانترنيت. فأنا اتعامل معه بالواسطة: هناك من بين الاصدقاء من يتطوع بتقديم خدمات انترنيتية جمة لي، ومنهم من يسدي لي هذا المعروف عندما ألتمس منه ذلك. مع ذلك، ما حكّ جلدك مثل ظفرك. فعندما جلست الى جوار ابنتي رباب امام الانترنيت (في زيارتي الاخيرة الى عمان)، وطلبت منها ان تبحث لي عن اسم العالم الفلكي (هالتون آرب Halton Arp ألفيتني أمام صندوق باندورا (او جراب الحاوي): انهالت عليّ المعلومات مما يخطر ولا يخطر على البال. واجمل ما في الأمر أن الانترنيت يحسن قراءة افكارك. هالتون آرب يعني أنني أبحث عن (منشقين) في علم الفلك. فبعد ان طالعني هذا الجهاز الأرشيف باسم كتابه الآخير، لفت اهتمامي الى قراءة كتب اخرى تضرب على الوتر اياه. وعن طريق الانترنيت علمت مثلا أن صاحبي، هالتون آرب، يعتبر أخطر عالم فلك على وجه الأرض. وسر خطره يكمن في أنه يطعن بواحد من أهم الأدلة المزعومة على (صحة) نظرية الانفجار الكبير في علم الفلك. تلك النظرية التي تتبناها المؤسسة العلمية الرسمية، وتزعم ان الكون نشأ قبل زهاء ١٥ بليون سنة من هباءة كانت طاقتها مطلقة ودرجة حرارتها مطلقة، ثم انفجرت هذه الهباءة، وتمددت، فاصبحت ذرات، ونجوما، ومجرات، ومجموعات مجراتية. وتزعم هذه النظرية ايضا أن المادة، وحتى الزمن، والفضاء، نشأت كلها في لحظة الانفجار. ولكم ان تقتنعوا بهذا. وكان دليل المؤمنين بهذه النظرية أن راصدي المجرات لاحظوا أن طيفها الضوئي عند الرصد ينزاح باتجاه اللون الاحمر (في الطيف). وبما أن الجسم المنير اذا ابتعد عنا يعطي انزياحا نحو الاحمر، فقد استنتجوا أن كل شيء في الكون في حالة تمدد. وهذا يعني انه كان اصغر فأصغر كلما عدنا في الزمن الى الوراء. وهكذا اجترحت نظرية الانفجار الكبير لكن هالتون آرب (من بين معارضين آخرين) أثبت بأرصاده أن الانزياح نحو الاحمر لا ينبغي أن يفسر بالضرورة على أن الكون متمدد، بل هناك اسباب اخرى لهذه الظاهرة (اي الانزياح نحو اللون الاحمر). وهذا دونه ووثقه في كتابه الذي كنت بصدد البحث عنه seeing Red وعرض الانترنيت امامي عناوين مثيرة أخرى: (الانفجار الكبير لم يحدث) ، و (الانفجار الكبير تحت النيران) ، و (وداعا ايها الانفجار الكبير: مرحبا ايتها الحقيقة) ، و (نظرية الانفجار الكبير في ورطة) ، و (نظرية الانفجار الكبير - نقد علمي)... وهي عناوين تأتي على مرامنا نحن غير المؤمنين بهذه النظرية.

وكانت هناك مفاجأة اخرى: افتضاح زيف اسطورة آينشتاين! وانها، بالفعل، لمفاجأة لم تكن في الحسبان. فهذا الطود الشامخ، الذي، رفع الى مقامات الآلهة، وظل ممتنعا عن النقد طوال قرن، يأتي من ينزله عن عرشه (الخالد)، ويقدم الادلة على انه سرق مجده كله من آخرين، وفي مقدمتهم زوجته الاولى. والمفاجأة هي كتابان لكريستوفر جون بيركنيس، هما: (ألبرت آينشتاين المنتحل بلا حياء) ، و (ممهدات لآينشتاين في نظرية النسبية العامة).

ومثل غيري من القراء، والمتابعين، كنت واقعا تحت سحر هذه الاسطورة، التي يلهج بها الجميع. فاسم آينشتاين كان ولا يزال اكثر لمعانا وحضورا من أي عالم آخر. فهو ملء السمع والبصر في المدارس والجامعات، وفي المكتبات، والكتب، وفي الصحافة، والسينما، والتلفزيون، وحتى في الاعلانات، والملصقات، والروزنامات، والقمصان، واقداح القهوة، الخ، الخ . وقالت عنه جريدة (كانبيرا تايمس): (يترك اسم (آينشتاين) انطباعا عن عبقري محبب الى النفس حقق ثورة في مفاهيمنا عن الفضاء، والزمن، والطاقة، والكتلة، والحركة... والكثيرون اعتبروا آينشتاين أهم انسان في تأريخ البشرية المدني). وفي ختام الألفية الثانية اعتبرت مجلة (تايم) الاميركية آينشتاين (رجل القرن). كان هذا على الغلاف، وفي الداخل، وصف بأنه (الأول من بين عمالقة القرن)، و (اعظم عباقرة القرن في ميدان العلم)، و (الرجل الذي جسد زمننا، أكان ذلك للأحسن ام الأسوأ، وسينظر اليه في التأريخ كرجل دام تأثيره اكثر من أيّ كان)، و (رمز لكل العلماء)، و (ابرز شخصية عالمية علمية فائقة الشهرة)، و (اعظم مفكري القرن)، وحتى (.....القديس الراعي للتلاميذ الضعفاء).

بعد كل هذا التبجيل والتقديس (وهذا غيض من فيض)، من بات لا يخاف من آينشتاين؟ في هذا الاطار، مثلا، يقول العالم الشاب خواو مغويشو (البرتغالي الأصل) ان العالم الكندي جون موفات أقنعه بأهمية أن لا يتعرض بآينشتاين الأ بأقل ما يمكن. ومما له دلالة، ايضا، في اطار الخوف من التصدي لآينشتاين، ان الانترنيت يطالعنا بمقالة عن انتحالات آينشتاين (من زوجته الأولى، مثلا) بعنوان ((عبقرية) آينشتاين في العثور على الزوجة المناسبة!) لكن كاتب هذا المقال فضّل ان يبقى مجهولا (أنونيموس باللغات الاوربية). بل اننا نقرأ في الصفحة الأولى من كتاب كريستوفر جون بيركنيس (آينشتاين المنتحل بلا حياء) تنصلا هذا نصه:

(هذا الكتاب معدّ للتسلية فقط. ونظرا لاحتمال حصول خطأ ميكانيكي او بشري، فان هذا الكتاب قد ينطوي على اغاليط جوهرية، طباعة ومضمونا. ولا يتحمل المؤلف ولا الناشر أية مسؤولية عن اي أذى، او خسارة، او ضرر، ناجم عن استعمال أية معلومة، او مقتبس، او مناقشة، او استنتاج، يشتمل عليه الكتاب. ولا يصر المؤلف ولا الناشر على كمال، او دقة، او جدوى اية معلومة في هذا الكتاب).

أوليس هذا دليلاً على الحصانة الغريبة التي يتمتع بها آينشتاين؟ لكن المؤلف لم يكن غشيما إطلاقا، مع ذلك. فقد اتخذ كل الاحتياطات اللازمة: لقد عزز كتابه من غلافه الى غلافه بمقتبسات وشهادات موثقة ومؤرخة. اما هذا التنصل فربما لذر الرماد.

وعلى اية حال، سوف نرى أن آينشتاين لم يكن هو الذي غيّر مفاهيمنا عن الفضاء، والزمن، والطاقة، والكتلة، والحركة، الخ. بل سطا هو على الآخرين في ذلك كله، بمن فيهم زوجته الأولى مليفا ماريتش. كما لا يقتضي الامر كل هذه الميلودراما حول مفهوم هذه الأشياء.

حقا، ان المؤسسة العلمية الرسمية منحازة، وتحركها دوافع اخرى، بعيدة عن النزعة الموضوعية التي يفترض ان تكون من مسلمات الاخلاقية العلمية. وانه لما يسيء الى العلم والى الحقيقة والتأريخ ان تنسب جل الانجازات العلمية في القرن العشرين (بما في ذلك فكرة القنبلة الذرية) الى رجل واحد، هو آينشتاين، وتحجب عن العلماء الآخرين الذين يعود اليهم الفضل في اجتراحها. وأعود فأشير الى عملية غسل الدماغ التي تعرض ويتعرض لها البشر حول هذه الاسطورة، حيث كان ولا يزال يقال لنا انه لو لم يجترح آينشتاين أي شيء آخر، فان مجرد ابتكاره قانون E=mc2 (الطاقة تساوي حاصل ضرب الكتلة في مربع سرعة الضوء) من شأنه وحده ان ينعم بالمجد كله على آينشتاين(بالاستناد الى هذا القانون توصل العلم الى فكرة القنبلة الذرية). هذا في حين أن آينشتاين لم يكن هو واضع حتى هذا القانون (كما آمل ان اتطرق الى ذلك في حلقة قادمة).

ومعروف أن آينشتاين نشر رسالته العلمية عن نظرية النسبية الخاصة (التي تشتمل على القانون المشار إليه أعلاه) في ١٩٠٥، ورسالته عن النسبية العامة (حول الجاذبية) في ١٩١٦. وان احدا في حينها لم يعر ذلك اهتماما يذكر، لأن ما ورد في هاتين الورقتين العلميتين لم يكن جديدا، بل سبقه في ذلك علماء آخرون، سنأتي الى ذكرهم بالتفصيل. لكن اسطورة آينشتاين بدأت في عام ١٩١٩، على نحو مسرحي يستحق التوقف عنده. في ٩ تشرين ٢ من عام ١٩١٩ نشرت جريدة نيويورك تايمس مانشيتا: (كسوف الشمس يثبت تغيرا في الجاذبية). وفي التفاصيل، (انحراف شعاع الضوء يؤكد أن هناك خللا في قانون نيوتن، انجاز العصر. عالم بريطاني يعتبر هذا الاكتشاف واحدا من اعظم انجازات البشر). ولم يكن هذا الكلام منافيا للحقيقة فحسب، بل انه يتجافى مع ابسط مباديء المنطق الاستقرائي الذي يستند الى التجربة والمشاهدة. فلا يصح القطع بصحة نظرية ما بتجربة واحدة فقط (هذا اذا افترضنا أن التجربة كانت صحيحة). ويتجسد هذا الموقف عند الفيلسوف المعاصر كارل بوبر Poper الذي لا يؤمن بصحة أية نظرية علمية حتى لو اخضعت الى عدد هائل من التجارب الناجحة: (كيف يسعنا أن نقول ان البجع كله ابيض لمجرد أننا لم نر بجعة سوداء؟ فقد تكون البجعة التالية سوداء (.....وقبل بوبر تساءل ديفد هيوم (١٧١١-١٧٧٦): (وفق أي منطق يملك المرء أن يفترض أن مشاهدات المستقبل ستشبه مشاهدات الأمس؟ على سبيل المثال، لماذاينبغي ان تشرق الشمس صباح غد، لمجرد أنها كانت تشرق دائما في الماضي) .....وهيوم، هنا، يشكك حتى في الاستقراء، المبدأ القائم على المشاهدة والتجربة. أما بوبر، الذي لا يختلف عن هيوم، في اصراره على عامل الدحض (المحتمل، كما في حالة البجعة السوداء)، فقد ناقض نفسه عندما اعتبر نظرية آينشتاين علمية لأنها (صمدت) امام التجربة او الاختبار: انحناء او انكسار أشعة النجوم عند مرورها قرب الشمس. فلماذا تساهل بوبر مع آينشتاين مكتفيا بتجربة واحدة، في الوقت الذي يشك في صحة أية نظرية اخرى، لأننا لا نستطيع القطع بانهاممتنعة عن الدحض ولو في حالة واحدة، كما يؤكد. هذا وقد اتضح ان نتائج الارصاد للكسوف الشمسي التام في ١٩١٩ كانت زائفة! أي ان اسطورة آينشتاين التي انبنت على هذه النتائج، وهللت لها وسائل الاعلام، كانت بلا أساس.

مع هذا قال ABRAHAM PAIS أحد كتبة سيرة حياة آينشتاين: (كان اكتشاف آينشتاين بعثا لأسطورة. لقد ظهر رجل جديد على حين فجأة، الدكتور آينشتاين الذي برزت شهرته بين عشية وضحاها. انه يحمل رسالة الى العالم الجديد .....ان لغته الرياضية مقدسة .....البعد الرابع ، الضوء له وزن، الفضاء منحن .....لقد أصبح الرجل المقدس للقرن العشرين). وبالوسع الاستشهاد بما لا يحصى من مثل هذا الكلام عن آينشتاين. لكننا سنكتشف أن آينشتاين لا يستحق أي شيء من هذا. فهو، كما جاء في كتابي كريستوفر جون بيركنيس، لم يجترح أيا من النظريات والمعادلات التي تنسب اليه. كما ليس من طاقة أي عالم فرد أن يغيّر مفهومنا عن الفضاء، الزمن، والطاقة، والكتلة، والحركة. بل ان ذلك تم نتيجة للتراكم، على أيدي عدد من العلماء، ابتداء بغاليليو، الذي كان اول من بسط فكرة النسبية، ومرورا وانتهاء (بلانج) الذي اسقط منها مفهوم الفضاء المطلق والزمن المطلق، وفويغت VOIGT الذي طرح موضوع التحويلات النسبانية، (وبوانكاريه) الذي كان اول من طرح فكرة الآنية النسبية. فلماذا، كما يتساءل، (بيركنيس)، تنسب الفكرة الى آينشتاين، ويشار الى (نظرية النسبية الخاصة لآينشتاين؟) فلم يسهم آينشتاين في أي شيء يتعلق بمبدأ النسبية الخاصة. ولماذا يتعارض هذا الاعتقاد السائد الخاطيء عن آينشتاين، واكتشافاته المزعومة، ذلك الاعتقاد الذي غذته الجالية العلمية ووسائل الاعلام، مع الحقيقة التاريخية؟ وهل ان اماطة اللثام عن الحقيقة شيء مرفوض، اذا كانت تعني سقوط رمز وموت دين؟

ويؤكد بيركنيس ايضا: لا يتطلب الأمر عناء كبيرا في اثبات أن ألبرت آينشتاين لم يكن هو مجترح نظرية النسبية الخاصة في مجملها، او حتى في معظمها. ان السجل التأريخي متيسر: لودفيغ غوستاف لانج، فولديمار فويغت، جورج فتزجيرالد، جوزيف لارمور، هندريك أنتون لورنتس، جول هنري بوانكاريه، بول دروردة، بول لانجڤان، وآخرون كثيرون، طوروا النظرية بالتدريج، خطوة خطوة، وأسسوها على آلاف السنين من الافكار والبحوث المدونة. ولعل آينشتاين قدم بضعة اسهامات للنظرية، مثل المعادلات النسبانية لانحراف الضوء وظاهرة دوبلر-فيزو، رغم أنه ربما وضع معادلة غير صحيحة لكتلة الألكترون المعترضة، التي لدى تصحيحها، تصبح معادلة لورنتس (العالم الهولندي).

وتجدر الاشارة الى ان نظرية النسبية الخاصة تؤكد جملة اشياء، من بينها، ان سرعة الضوء ثابتة لا تتغير، وان الطاقة تساوي حاصل ضرب الكتلة في مربع سرعة الضوء، وعند تسارع سرعة الجسم واقترابها من سرعة الضوء، فان طول الجسم يتقلص، وان الكتلة ستزداد، وان الزمن يتباطأ كلما اقتربنا من سرعة الضوء، الى ان يصبح صفرا في سرعة الضوء. وهذا كله ينسب الى آينشتاين، لكن علماء آخرين قبله، وفي ايامه اكدوا عليه قبله، كما سنرى في حلقات قادمة.

أما نظرية النسبية العامة فتتعلق بالجاذبية، وفرقها عن جاذبية نيوتن، ان تفسير آينشتاين، الذي سبقه اليه آخرون ايضا، ذو طابع هندسي اكثر منه فيزيائيا، يذهب الى ان الجاذبية تتم نتيجة لانبعاج الفضاء بالجسم او الجرم السماوي، فيحفز هذا الانبعاج في الفضاء مسارا للجسم المجذوب (وهو تفسير يصعب قبوله، اذ كيف ينبعج الفضاء، وهو كيان لا مادي؟)

وقال البروفسور باغديش ميهرا: (لقد سطا آينشتاين على معادلات هلبرت حول مجال الجاذبية، واعتبرها من عنده، او هكذا يبدو من قراءة رسالته العلمية عن النسبية العامة في ١٩١٦). وقال تلمان ساور: (سرعان ما سيسلط (هلبرت) الأضواء على الخلل في طريقة آينشتاين المبتذلة في التعامل مع الرياضيات المتعلقة بنظريته حول الجاذبية). وقال البروفيسور كب ثورن: (معروف ان آينشتاين لم يكن اول من اكتشف الصيغة الصحيحة لقانون الانبعاج .....ان هذا الاكتشاف ينبغي ان ينسب الى هلبرت).

وفي ١٩٢٩ قال روبرت ريتشاردسون: (وهكذا، بشأن ما يعرف بالنسبية الخاصة، اذا اخذنا في الاعتبار، العامل الأكبر، وليس التفاصيل، بل الأفكار الموجهة التي ابتكرت هذه النظرية، فان مبتدع هذه النظرية النسبية هو هنري بوانكاريه بلا منازع .....أما نظرية النسبية العامة فان الفكرة الاساسية تعود الى (ماخ، أي الاستعاضة في الديناميكا عن قانون الجاذبية بقانون الحركة. على انه في ما يتعلق بما جاء به آينشتاين بناء على هذا الاساس فان تأثير بوانكاريه هو الاكبر مرة اخرى...(وفي ضوء هذه الحقائق كلها لا يملك المرء الا ان يحتار أمام: شهادة (بوانكاريه) الذي كان تواقا دائما الى ان يكون هناك اعتراف بانجازات اولئك الذين نضجوا ما بدأبه هو، ولا مبالاة أصدقائه بعد وفاته، وموقف آينشتاين و (شلة) الغريب، الذي تجسد عند بورن من غوتنغن، الذي اعتبر بوانكاريه واحدا من اولئك الذين (تعاونوا) مع آينشتاين في ابتكار نظرية النسبية!).

أنت يا شمعة البرمجة

سافرة جميل حافظ

- يا خير جليس!
-أنا؟
صاحت متعجبة وتمايلت متراقصة ولمعت عيناها فرحا فملأت المكان ضياء أصفر لامعا
- نعم يا عزيزتي... أنت يا شمعة البرمجة
- ولماذا اسمي هكذا؟
- كيف هكذا؟
- أعني تضيفيني إلى البرمجة
- هم الذين سموا الظلام هكذا (البرمجة)
قهقهت زميلتي ورمشت بعينيها قائلة
- آ.. ظننتها جلسة موشحية فقلت لنفسي ينقصنا اثنان!
-لا تقبلي المواجع لسنا في جلسة شاعرية نحن كما قلت لك في ظلام البرمجة
- أو ما زلتم في ذلك الظلام؟
- ما زلنا
- عشر سنين؟
- حظنا هكذا
بدت صديقتي متألمة خففت من حدة رقصاتها وسالت قطرات العرق على جوانبها، أشفقت عليها قائلة
- لا تنزعجي يا عزيزتي، ألا يروق لك أن تبقي معنا.. منذ ملايين السنين وأنت مصاحبة لنا بفضلك استنارت عقول العالم، ولولاك لما زخرت المكتبات بكنوزها.
- وكيف كان ذلك؟
ضحكت، فتساءلت
- لماذا تضحكين هل في سؤالي ما يضحك؟
- كلا ولكن طريقة السؤال ذكرتني بكتاب لابن المقفع هل مر عليك؟
- آ.. (كليلة ودمنة) أنا أيضاً أعجبت به. ولكن خبريني لماذا قفعوا يدي أبيه المسكين؟
- لكي لا يكتب الحقيقة!
تعجبت جليستي وانبعث منها نور متوهج غاضب وصاحت
- أو كل من يكتب الحقيقة تقفع يداه!
- يا ليت!
- ماذا تعنين؟
- بل ويقفع جميعه.. بل وتقطع يداه.. ويعلق على جسور المدينة!

ارتجفت رفيقتي متألمة
- عجيب ألم تقرائي ذلك وأنت من صاحب الكتب والمؤلفين منذ قرون حتى شبه المعلم بك فقالوا (كالشمعة يذوب لينير غيره)
رأيت دموعاً غزيرة تسيل على جانبي وجه صديقتي فسألتها
- هل هذه الدموع من أجل المعلم!
- لا بل من أجلكم جميعاً، لماذا لا تعيدون النور إلى مدينتكم؟
- لسنا الحكومة
كشرت رفيقتي في وجهي وصاحت بضربة من لهيبها
- أنتم أقوى من كل الحكومات.. انتم الشعب!
- شعب مسروق!
- أين أموالكم؟.. من سرقها؟
- تصدقوا بها ليكسبوا الجنة؟
بدا على صديقتي الفهم، توقفت دقيقة مفكرة ثم سألت
- سمعت بأن العلماء يشتغلون على مصباح يضيء مدينة بكاملها. ألم ينتهوا منه بعد؟
ضحكت
- يا عزيزتي العلماء ملوا الأرض فاتجهوا نحو السماء فراحوا يتحارشون بالنجوم!
رمشت صديقتي بعينيها ناظرة من خلال النافذة إلى الخارج
- ضوء القمر جميل هيا نجلس هناك فتحت لها النافذة فصاحت
- أغلقيها.. أغلقيها وابتعدي عنها ما هذه اللعلعة؟
- أراء متصارعة!
- ولماذا تتصارعون بالرصاص؟
وهنا سطع المصباح الكهربائي فتراجعت صديقتي خجلى تلوح بيدها وهي تقول
- في يوم ما حينما تنغمرين (بالنور المذاب) سترمينني جانبا كمتقاعدة عجوز!
- كلا يا عزيزتي حينها سنجلس حول الطاولة (أربعة) بحق وحقيقة!
رمشت لي بنورها واختفت والشكوك تملؤها!

(شمس انفلونزية فاقعة)

تمرين في قراءة الوقائع

علي سعدون

لتكن القصيدة فكرة.. مانشيتا فلسفياً يخدش المعرفة المسبقة بالأشياء ويصب على رأسها عدداً هائلاً من الإشارات..

وإذا كانت القصيدة كذلك فبماذا نسمي سيل الصور والتداعيات والتشكل في نص حية ودرج / شمس انفلونزية فاقعة للشاعر خزعل الماجدي.. بتعبير أكثر دقة إذا كانت هذه القصيدة (فكرة) كيف يكون بمقدورها تقبل هذا الكم الهائل من التقنيات الأخرى سالفة الذكر. ألا يستدعي ذلك جهداً ملحوظاً للقراءة كإجراء فاعل موازياً لإجراء الكتابة ولو بنسب متباينة..، وما دمنا سمينا شمس خزعل الانفلونزية الفاقعة شعر فكرة تختلف عن أفكاره السابقة (أناهيت العالم) و (خزائيل) أو (عزلة في الكرستال) الخ.. وهي بمجملها قصائد أفكار لم يستخدم فيها تقنيات أخرى خارج نطاق التفكر علما أن قصائد التفكر لا يمنع توفرها على حركة المخيلة التي تصوغ العالم بشعر مختلف لكنه وبسبب حدة الفلسفة (الفكرة) يمنع تجوال الشعرية في فضاء التشكل والتجسد.. وقد يطول البحث في ماهية نص الفكرة المحضة الذي نشير له ولا نخوض فيه..

على أية حال أمامنا الآن نص مختلف للشاعر خزعل الماجدي.. نص ينتمي للوقائع.. يفكر بها ويسميها ويعمل على تحريضنا على القراءة بشكل مختلف..

فبدءا من عنوان النص يتضح أن الشاعر لا يتحدث عن الشمس بالمرة...، فالشمس المريضة هذه سواد فاقع يختزل متن النص برمته وما المتن عندئذ سوى هامش للتداعي عند الشاعر استطاع من خلاله أن يؤكد معنى هذه المريضة التي تنتصر للخراب والظلام والرصاص دون أن تضيء أبداً..، بالضبط كفنتازيا واقع مبني على المفارقة حينا وعلى المتضادات حينا آخر.. أضف إلى ذلك استخدام العنوان بصيغة النكرة (شمس انفلونزية فاقعة) وليس بصيغة المعرفة وهو دليل على الإحالة إلى التخصيص بمعنى أن الشاعر لا يتحدث عن الشمس / القيمة الوضعية المعروفة بل عن الشمس المريضة التي لا تشبهها أية شمس..، إنها شمس تنطفئ لتمهد سطوع وتوهج ثيمات المتن كقيم وجودية يفترضها ويؤكدها.

هنا صار بمقدورنا أن نؤول مفردة انفلونزية في العنوان على إنها التحول أو المرحلة الانتقالية التي استبدلت العنوان بالمتن ولذة التبادل هذه تمثل صلة الشاعر خزعل الماجدي المحشور والمتشظي في مكان متعدد الأبعاد والقيم التي تأخذ بيده إلى فناء الجمال الذي تؤكده الوقائع: (ليل مقطرة بالعويل والغيبوبة. لماذا نحن هنا؟) النص.. هذا إذا ما اعتبرنا أن النص الشعري كيانا لغوياً يتوفر على قدر كبير من الإشارات والإحالات الزمانية والمكانية التي تجعله متعدد الأبعاد - مفتوحاً وغير نهائي-.

لنعد الآن إلى الفكرة مجتمعة (فكرة النص) والتي تمثل دافع الكتابة الأول لدى الشاعر وهي سمة تكاد تكون تسجيلية كاقتراب أول من النص التسعيني الذي سنشير له لاحقا.

يبدا النص بفعل الأمر (دعي) للمخاطب المؤنث الذي يتكرر ١٨ مرة ليؤكد بدءا الخطاب / الرسالة / التي يريد لها أن تؤرخ وتسجل منعطفاً مهماً من منعطفات الروح في زمان ومكان النص.، هل يكفي هذا لنسميها خطاباً موجهاً إلى الذات المؤنثة: البلاد مثلاً.. وإذا كان الأمر كذلك فالفكرة هنا ستنقسم إلى قسمين: يسعى الأول إلى ترسيخ شكل وأسلوب الخطاب / الرسالة.. ويسعى الثاني إلى فضح المعنى الذي يفصح عن جدوى وماهية ذلك الخطاب ويمثله الجزء الثاني من النص والذي يبدأ بالاستفهام متشظياً إلى مجموعة استفهامات تأخذ زمام العبارات كلها دون أن يهتم الشاعر بإجابة ما عن الذي يحدث، أنه يشير ويسمي.، لذا صار بمقدورنا أن نؤول أيضاً الفكرة على أنها تسجيل للذي يكون والذي سيكون، إنها كتابة تختزل الحاضر والمستقبل في آن ولا علاقة لها بالماضي إلا إذا أردنا أن ندخل في خضم فلسفة انفلونزية فاقعة على حد تعبير الشاعر..، وإذا أردنا أن نقوم بمقاربة إحصائية على ضوء ذلك سنكتشف أن الشاعر استخدم الفعل المضارع ٢٩ مرة في النص وهو ما يشكل علامة فارقة ومهمة في سمة تسجيل الوقائع (الآن) وهي سمة تسعينية بارزة.

يشير نص الشاعر خزعل الماجدي إلى أمر مهم للغاية مفاده: جعل الأسئلة مفتتحات للبوح دون أن يكون ذلك البوح بمثابة إجابة:

من صنع كل هذه التعاويذ والتمائم؟
من صنع كل هذه العصابات؟
من صنع كل هذه القدور؟
لماذا نحن هنا؟

هذه الأسئلة الوجودية التي تندرج ضمن ثيمات نصه الذي نحن بصدده الآن تمثل إجراءً شعرياً مهماً لانبثاق وتفجر دلالات وإشارات غير مستقرة وغير نهائية تفتح مقطعات النص إلى أفق كوني يأخذ بمجريات النص إلى تغطية الواقعة برمتها (تاريخها ووقائعها):

مجموعة رجال ضخمين يهرولون..
من هنا يباع العرق السفري،
والطائرات تقصف... من هنا يباع اللبلبي
وفي الفرع المجاور يباع اللبن
هذه الضربة قرب برج الاتصالات
خدر لذيذ بعد أول كاس.. رغم أن الدم يتساقط من السماء..

إن تشكل هذه الوقائع إنما يمزج حس الشاعر بالوقائع اليومية (المعنية بفناء الجمال) بالحس الميثولوجي / هذه الوقائع التي يحرص الشاعر على تعريفها وتشكيلها إنما هي في نهاية المطاف تعديل في الشعرية العراقية المعاصرة..، اشتغال يسمو بالنص: الفكرة والوقائع معا.. وهو اشتغال يحسب للتسعينيين قبل الشاعر الكبير خزعل الماجدي الذي ينتمي إلى جيل قصيدة الفكرة / زاهر الجيزاني وكمال سبتي وعادل عبد الله وعبد الزهرة زكي ورعد عبد القادر وسلام كاظم وآخرين.. وهو جيل غاية في الأهمية.. آخذين بنظر الاعتبار متغيرات الكتابة لدى الشاعر وأقرانه من الجيل المذكور.. يقول بروست في كتابة الزمن المسترد: إن كل فنان أصيل يقدم لنا لمحات من العوالم اشد اختلافاً بعضها عن بعض من تلك التي تجري إلى ما لا نهاية. بقي أن أقول أن شمس انفلونزية فاقعة للشاعر خزعل الماجدي نص للتفكر والوقائع..، نص مهم يحتاج إلى أكثر من تمرين للقراءة..